نبيل محمود

حلوى الليل

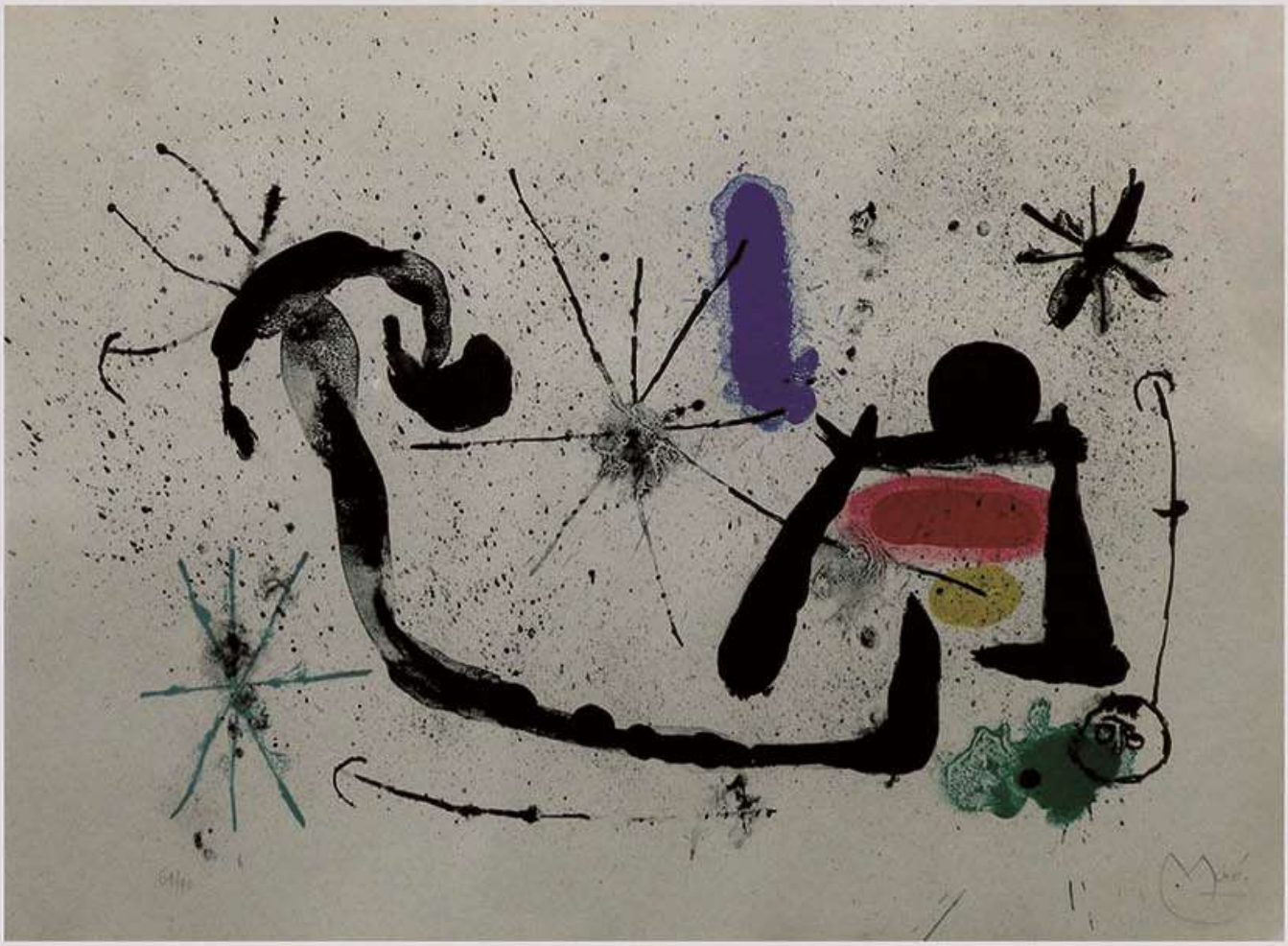

قصائد وشذرات

MESOPOTAMIA

نبيل محمود

حلوى الليل

قصائد وشذرات

2016

حلوى الليل

قصائد وشذرات

نبيل محمود

الطبعة الأولى 2016

عدد النسخ 1000

لوحة الغلاف : خوان ميرو (1893 - 1983) JOAN MIRO

العمليات الفنية والتنفيذ الطباعي دار صفحات - سورية

دار ميزوبوتاميا

بغداد - شارع المتنبي

موبايل: 07905139941

hamawendi@yahoo.com

mazin24@ymail.com

الإهداء

كالليلك المنسدل من شرفات الليل

تمشّط الحكايات

وتجدل الوقت بالعطر

حتى تلوح أسراب الجمال من نوافذ الفجر..

قصائد

وأنت تنحني لتشمّ الليلكَ

كم كان يخاف صريرَ الأبواب

وتسلّلَ الظلام المبلّل بالأطياف

في ليالي الشتاء

وتسرّبَ الفصول من جراره المثقوبة

فوق الحشائش والأعشاب..

خلف الزجاج المضبّب

تسيل الأشياء على الأشياء

أشباح الشخوص تغيم، وتذوب حدود الساحات

فتدمع روحه ويتأوّه المشهدُ

لم تُوهمْه فكرةٌ ولا أضلّه معبدُ

العدم أقرب إليه من اليقين

والزمان تكّات تتساقط من الساعات..

***

يا لبؤس الأجنحة

تخفق بالأشواق وتهفو إلى الطيران

صوب السماء البعيدة

يخذلها الريش الواهن والفضاء المبلّل بالهذيان..

***

كان يبحث في هسيس شَعرها

المنسدل من شرفات الليل

عن معنى اللون في الليل

ويبحث في البحيرة الهامسة

عن مغزى الصوت في الأمواج

تنزلق من بين يديه أسماك الغوايات الغامضة

والشغف يختلج في مياه نفسه الدامسة..

***

أيخذل العمرُ ظلَّكَ؟

وأنت تنحني لتشمَّ اللَيْلَكَ

تجاعيد وجهك خجلى من الضياء

ويستعجل الشيبُ ليلَكَ..!

***

كم كنت تذنب من حيث لا تدري

كالحصى تلمع ذنوبك في نهرها الصافي

فكيف ترجو الغفران

وأوراق خريفك حفيف الخسران..؟

***

حسْبك أنْ تتلمّس ألوان طيفها

وتثمل بخرير صوتها

وأن تغوص في وحشة الليل

وتتسرّب بصمتٍ في رمال الوقت

وتشهق شهقةَ اللهفة الأخيرة..

أمهلني بعض الوقت..

فيما الزمان ينصهر كساعات دالي السائلة

أتساءل كم هو الوقت؟

وفي أيّ يومٍ من أيام الأسبوع نحن؟

أمهلني بعض الوقت لأتذكّر..

كنتُ هناك..

وحلمتُ بجثتي المذبوحة تحمل رأس صديقي

مضيتُ يساراً..

وانعطف يميناً..

فبلغنا ساحة العدم سريعاً

في مدينة الأخطبوط المنهمكة بألف خطيئةٍ وخطيئة

كان القاتل من بعيد..

يرمقنا مقهقهاً

ويقلّب بين يديه ذكرياتنا

وأفكارنا الملعونة

أمهلني بعض الوقت فقط

لأتذكّر ذلك اليوم الدامي

في التقويم السوريالي

حين عوى الليل وزأر النهار

وتجعّد المكان حول خراطيم النفط الخرافية

كان السائل الأسود يندفع بسرعةٍ

لزجاً كالخبْثِ وقاتماً كالـمَقْتِ

ويجرف أوطان الشرق من بقايا الشعوب..

أمهلني بعض الوقت لأتذكّر..

.. هل سأتذكّر؟

فهذا الذي اسمه الزمان

كان يدور بنا في نفس المكان

حتى أفقدنا الدُّوار حسَّ الاتجاه

وحتى أوشك أنْ يترسخ فينا الإيمان

أنّ في الأصل ذنوبْ[1]

وأنّ الغفرانَ في النضوبْ!؟

(1) ((كان عمال شركة النفط في كركوك ينزلون في حفرياتهم إلى أعماق بعيدة الغور في الأرض. وفي يوم ١٤ تشرين الأول ١٩٢٧م فاضت إحدى الحفر بالسائل الثمين، وأخذ يتدفق بغزارة هائلة، فأدى ذلك إلى مقتل ثلاثة من المهندسين وبضعة أنفار من العمال، ولم تقوَ الجهود على سد فوهة هذه البئر إلا بعد عشرة أيام، كان النفط يتدفق خلالها))
عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث ج٣ ط٧، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩، ص٤٩.

كأنّ الدلالةَ الرمزيةَ لهذه الحادثة، إذا ما قُرِئت بما أعقبها من أحداث تاريخية، تبدو كإشارةٍ مبكرةٍ لما سيلحق بالعراقيين من لعنةٍ وكوارث، في ظل الإدارة السيئة لموارد هذه الثروة، والصراعات المحلية والعالمية حولها!

عودة أصدقائي الطيبين

في الصمت الداكن للمدينة الشوهاء

العصفورة تمسح بجناحيها الدموع

عن الزجاج وتنقر النافذة

في صباحٍ رماديٍّ أشعث الضياء

والكلب الضامر عند باب البيت

يمضغ عظْمةً شاحبةً

من بقايا زمنٍ لم نُحسنْ دفنه بعدْ

ويمرّن صوته من جديدٍ على العواء..

القطة السوداء تبدو أكثر جرأةً

ولم تفقدْ موهبة المواء

تطوف حول البيت

وتدسّ أنفها في شقِّ الجدار

وتشمّ رائحة سمكةٍ ملقاةٍ قرب المقلاة

فوق منضدة الطبخ المتهرّئة

ها هم أصدقائي الطيّبون

قد عادوا أخيراً..

بعد انكسار الأشجار وتقطّع الأسلاك

الخراب لم يكنْ قليلاً ولكنْ لم يكنْ كافياً

لانتزاع الذكرى ومحو العادة

لقد ظلّ في المدينة

كل مَن يمتلك مهارة الموت

أصدقائي الطيّبون فقط

كانوا يفتقرون لتلك المهارة

فهربوا من المدينة ومكثوا ينتظرون بعيداً

ما إن دوّى الانفجار الأوّل..

اليوم قد عادوا بعد الانفجار الأخير

لكنّني لم أستطعْ أنْ أفتح النافذة أو الباب

فقد كنتُ ممدّداً

وغارقاً في برْكة النوم الأحمر..!

Dream of Purple[1]

في مساءٍ شاحب

يُشعل شوبان قناديلَ الرغبات الأرجوانية

في أنامل جورج صاند

فيتدفّق الخريرُ الوردي

بين ضفتيهما

وتتراقص الأسماك الذهبية

في نهرهما السحري

النهر الغامض يمضي مسرعاً نحو بحرهما الهائج

يقطر عناقهما اللاسع عسلاً

ويمتزج رحيق الخلجات

---

(1) عنوان مقطوعة موسيقية لشوبان.

بوجيب الموسيقى والكلمات..

***

النجوم تعزف أضواءها الفضية

في صالة الليل الخالية

وحيدان

يوقدان النغم الأحمر

ويتموّجان أمام مدفأةٍ قرميدية

ينفضان عن جسديهما نُدَفَ البرد والعتَمة

ويشعّان كالماس في وحشة العالم..

لو أن.. [1]

السماء تسكب خمرتها الذهبية

يرشفها البحر فتتراقص النشوة فوق أمواجه

على أنغام شمسٍ تذوب..

وفيما تؤجّج أصابعُكِ

الحِنّاءَ المتوهّج في شَعركِ

يدغدغ الزبدُ الأبيض باطنَ قدميكِ

والرمل الناعم يخفق

في طبع آثار خطاكِ الورديّة على الشاطئ..

***

الشيخ القابع في مقعد وحدته

---

(1) العنوان والاقتباس وفضاء القصيدة، كله يحيل إلى رواية إيتالو كالفينو "لو أن مسافراً في ليلة شتاء..".

ضامرٌ بين دثاره وتجاعيده

يرمق بحافة عينه النهمة

التكوّرات والثنايا لفتاة الغروب

ويلتمس الدفءَ من مسرّات ضائعة..

***

ومِن هناك

من شرفته الخافتة

يرصدكما الكاتب المعذّب

((يقضم أظافره ويخدش نفسه))[1]

يوقظ الفتنة تحت جلده

يلاحق الحياة الهاربة وظلالها الرمادية

ويقتنص اللحظات الساحرة

يتنكّر كراوٍ ويتسلّل إلى حفل الغموض البشري

---

(1) العنوان والاقتباس وفضاء القصيدة، كله يحيل إلى رواية إيتالو كالفينو "لو أن مسافراً في ليلة شتاء..".

منقبّاً وراء الأقنعة عن جمالٍ لابثٍ

لم يقضمْه الوقت أو تقرضه الهنيهات

يجرّد الرغبات الغافية من ثيابها الداكنة

يمحو الفاصل

بين الخارج والداخل

يدسّ في حقيبته السردية بقايا الزمن المفتّت

ويغادر شرفته في قطار آخر الخيال..

القفزة الحرة

امرأةٌ تلوك كرزات الشفقِ
شفتاها تدعواني إلى مساءٍ عسلي
وتسقيني نبيذها المعتّق حتى احمرار الليل
أصابعها تبثّ الفوضى في شَعري
وتُسرّب الشغف عميقاً
إلى مياهي الدافئة..
أدفن رأسي في مِخدّتها البضّة
وتغطّيني بملاءات شَعرها الكستنائي
أشاكس الجنيّات الغافيات وأقرص أحلامهن
نسابق الأيائل البرية ونتسلّق الذرى
نلامس الغيم فتزحلقنا القبلات
وننزلق بالزلاّجات المسرعة نحو المسرّات..

***

مَن يسبق مَن في القفزة الحرة؟

نقذف بنفسينا ونصرخ بوجه الريح

لا يرغب أحدنا في أنْ تنفتح مظلّته!

رغبةٌ مجنونةٌ في التدفّق والانهمار

في أنْ نظلّ نهوي أبداً..

أنْ نهوي.. وألاّ نصل مطلقاً

أنْ يعبرنا الوقتُ وألاّ توقفنا أرضُ..

هنا والآن

هنا، والآن، حيث لا أحبّ أن أكون..

كم أحبّ الغاضبين الناقمين

الذين يهزّون الأشجار

ويجرّدون الأغصان من أوراقها الذابلة

كم أحبّهم وهم يؤثّثون المكان

لأوراقٍ أكثر نضارةً

وهم يقوّضون الزمان

لأوقاتٍ أقلّ مرارةً

كم أحبّ الناقمين وهم ينبّهوننا

إلى أنّ الريح تعصف في أوقاتنا الهشّة

وأنّه لا يجب الانتظار طويلاً

لنجرّب الرحيل إلى أزمنةٍ أخرى إذاً

فمَن يجزمْ أننا سنخسر إذّاك

أكثر مما خسرناه هنا الآن؟!

زخّات

امرأةٌ تلوّح بوشاحها البنفسجي

وتسافر في سفينة آخر النهار

تلامس أناملها زرقة السماء

فترافقها الحمائم البيض

والبحر يزفر زبدَه، بتأفّفٍ، على الرمال..

***

تعود، ليلاً، كالحلم عند استيقاظ الخيال

تعتصر الغيوم القصيّة

فتبرق أشواقٌ فضّية

وينثال رذاذٌ يفوح برائحة البحر

على حالمٍ يستلقي على سرير الوحشة

هارباً من العالم الشاحب

والزمان الشحيح..

يترقّب زخّات الجمال

ومن شقوق الزرقة الداكنة

يسقط متراقصاً، بين كفيه، وشاحٌ بنفسجي..

الناي واللهب

رأيتُ شاعراً من قصب

وامرأةً من لهب

سمعتُ أنين غيمةٍ دكناء

تجلدها السياط الزرق

وتعتصرها دوّامات السماء

تبدّدت الغيمة وانبثق قوس قزح

ينفخ ناياً من ذهب

جادلاً أنغام الشوق بألوان الشفق

وحبال الصوت الحريرية

تجرّ عربةَ امرأةٍ ساطعة

وتمضي بها صوب السماء السابعة..

مواء

اختفت الجنّيات وانحسر السِّحر

شاخت حكايات الجدّات وتلاشى عالم الطفولة

لقد توارى ذلك العالم المسحور

عصفت رياحٌ كثيرة

وتبدّد دفء غرف الشتاء

طعم الحكايات اللذيذة وحلوى الأوقات السعيدة

كل ذلك قد انزوى في أقبية الذاكرة البعيدة..

***

الريح تعصف في الشوارع

وأغنية تقرص الحواس

دوائر الفالس تدور بي

ونبيذ النشوة يُرنّحني آخر الليل :

(يا حبيبي شمّني قد فاح فُلّـي

أُدخل البستانَ واقْطفْ دون مَهْلِ

الرحيق ازداد فصْلاً بعد فصْلِ

فارتشفْ يا نحل مـن أزهار حقلي

واعتصرْ رمّانَ كثباني وسهلي

تين ثغري، مفعمٌ، يُغري بنهلِ

فالتهمْ مـن حُلْوِ أثماري وحَمْلي

يا حبيبي ضمّني فالبرد ليلي

كنْ ضيائي.. أضرم أوصالي بوصْلِ

لا تعلّمْني بما يجتاح كُلّي

فالهوى علْمٌ يُوافي كلَّ خلِّ)

***

شباط يموء في أمسيات الشتاء

وأنت تبحث في حطب السنين عن الدفء المفقود

تحاول إشعال النار في هشيم عمرك

وبين الأطياف والدخان تنفخ جمرك

وتقلّب الذكريات كحبّات البلّوط..

تلكَ الحرائق..

كلّ هذه تصير تلك.. وكلّ هذا يصير ذاك

كلّ شيء يصير سواه..

لا يلبث أو يمكث ما نراه

لا عروة للزمان

لا صهوة ولا لجام

ننتبه فجأةً.. على وقع خطاه

وهو يبتعد.. بعيداً.. بعيداً..

دون أن نفطن لمكره ولغفلتنا

يغادرنا ذات فجرٍ غائمٍ بحقائبه

تاركاً لنا رماد حرائقه

وكلُّ زمانيٍّ يزيح الدخان

ويبحث في الهشيم عن دقائقه..

كأنها جريمة..!

دقّات خافتة على باب الليل

أفتحه فيغمرني العطر الأنثوي

تغوص أصابعي ما وراء الشغف الطري

يلتهب الحطب اليابس في الموقد الخامل

في الخارج أنين رياحٍ وصفْق عواصف

وفي الداخل هدير هوسٍ وهلوسة جوع

لنطفئ الشموع..

فالرغبات عيون قططٍ تلمع في العتمات

ومخالبٌ تخدش أديم الشهوات

ظلالٌ تتموّج فوق الظلال

الشراشف تتجعّد وتنفرج الأسرار

تفوح رائحة التفّاح المقضوم

ويهسهس الرمّان المهصور

تتناثر حبّات التأوّه الأحمر

ليس ذنبنا أنّنا مفعمون بغوايات غامضة

كم كنّا مفتونين بتلك العتمة الساطعة

وكم كنّا نحلم بجريمةٍ كاملة؟!

***

ومن منا لم يحلم بجريمة؟!

كم كنت أتلذّذ بفكرة الافتراس

وكم كنت تحلمين بالالتهام

أ تَقِي الثيابُ من الغوايات؟!

في الليل كلّما تدور مقابض الأبواب

يضجّ الظلام بصرير الشهوات..

قمر إنهيدوانا

عندما يكون للمرأة ما للرجل.. سيتخلّص الرجل من قسوته، ولن تخسر المرأة أنوثتها.. ويغدو العالم أكثر سلاماً وجمالاً..

((أنا
الكاهنة الكبرى
أنا
إنهيدوانا
هناك رفعت زنبيلي المقدّس
هناك غنيت أغنية السعادة البهيجة
لكنّ ذلك الرجل ألقاني بين الأموات))

إنهيدوانا

في الأفق البعيد

كانت تجالس القمر وتلامس النجوم

تشدو أغنية حبٍّ

وتنثر القبلات..

جوقة كاهنات المعبد يردّدن

لازمة الأغنية:

إنانا يا سليلة القمرْ

إنانا يا دليلة القدرْ

إنانا يا ناثرة القُبَلْ

يا نشيد كل مَن بَذَرْ

***

إله الشمس اغتصب الحب

وارتدى بزّة الحرب

والتهم المحاقُ الضياء

امتنع المطر وجفّت الحقول

تهدّم المعبد وتفرّقت الكاهنات

في شوارع المدن المقهورة

أفْلَت زمام الوقت من بين يديكِ

ما أكثر القلوب التي جرفتها الدموع

ما أصعب الأوقات التي كدّرتْها الأوجاع

***

لقد آن للعالم أن يضحك بشفتيكِ

وأن يبصر الجمال بعينيكِ

وأن يرتشف من الينابيع الأولى بين ذراعيكِ

وأن يستعيد أغنيتكِ العذْبة القديمة

لقد رثيتِ المدن المهزومة طويلاً

وقد آن لكِ أنْ تَرِثي الأعياد..

انطفاء

بشغف أصابعٍ متسلّلةٍ

تحت الإهاب

دسَسْتَ صورَكَ في ثنايا الروح

وأمْعنْتَ في الغياب..

كلّما تقلّبْتُ في نومي

مارسْتُ لعبةَ شدٍّ وانحسار الثياب

ما صحوْتُ منكَ

إلاّ وأنا أمحو بعضي ببعضي

بين ذهابٍ وإياب..

لقاء

وردةٌ ناعمةٌ

غسلتْ وجهها بندى الفجر

واندسّتْ في عروة صباحٍ أنيق

يتأهّب لملاقاة أمسيةٍ ناعسة

تلاقيا..

تلاشيا في غسق قبلةٍ

وذابا في عسل الليل الكثيف..

مشهد صيفي

امرأةٌ بلون البحر

تستثير أمواج الماء

وتصدح بصوتها الذهبي

فتحتشد حولها النوارس البيض

وخصلات شَعرها تشاكس وشاحها البنّي

عطر الغبطة يفوح من قمح وجنتيها

وأناملها الرشيقة تنتزع أشواك السمكة

في اللوحة الساحرة لصيفٍ بهيج

السمكة المشوية في طبقها

وحدها لم تكن سعيدة..!

ليل الليلك

أشمُّ عطر الليلَكِ

فأستذكر ليلَكِ الفوّاح

ورذاذ الحدائق يرشّ وجهي

وثغرك يهسهس كتفتّح القُدّاح

أهداب عينيك وارتعاش الأشجار

تبشّر بعاصفةٍ لذيذةٍ!

أسمع الريح تخلخل الأقفال

وتباغت الغيوم وتستدرج الأمطار

أرتشف القطرات

وبين الهطول والهطول

تُغرقني شلالات الذهول

فأتشبث بحكايات شَعركِ الطويل

***

تذكّرت أغنيات الشعراء المنسيّين

وكيف أنّهم كانوا يهجرون مدنهم

من أجل قصيدةٍ أو حبيبة

يشتعلون بصمتٍ في الطرقات

ويتبادلون أنخاب الضجر والدخان

ويمسحون أحزانهم بأكمام ملابسهم الرثّة

في حانات المسافرين الباردة

تذكّرتهم.. وأنا لوحدي

أقرأ كتاباً عن الشِّعر والشُّعراء

وأمسّد بيدي خصلات ذكرى كثيفة

فتفوح بقيّةُ عطرٍ قديمٍ من ليل الليلك..

إلهة الحرب

حينما نشأت السلطة.. غدت الحرب ثمناً للحب.

بين أقصى الحبِّ وأقصى الرعبِ

يتأرجح الوهم كرقّاص ساعةٍ تُحصي القتلى

وتسكب الوقت وكلّما امتلأتْ جرّةٌ

سحبها عنكبوتٌ ولفّها بنسيجه

وكدّسها قرب الجرار في قبوٍ معتمٍ قديم..

بين غفوةٍ وصحوٍ يتدلّى حلمٌ

من شجرةٍ تهزّها الرغبة

يتساقط تفّاحها فيحاصرها فحيحُ الأفعى..

ليس جديداً حشْو الحبِّ بأوهام الرعبِ

فلابدّ من إفزاع العشّاق

لكي يستحكم اللجام

ولكي يصير الشوق غضباً

وتشتعل الرغبة لهباً..

حطباً حطباً حطباً

تشتهي وتهتف كلّ الحروب..!

إلهة الحبّ جُرِّدتْ من فتنتها

وسيقت للحرب الأولى

فليس من غنيمةٍ أو هوىً إلاّ لمن لبس بزّة الحربِ

وفيما الوهم يتأرجح

تدقّ الساعةُ الأعناقَ وتعلن الزوال

ويظلّ الوهم يتأرجح ذبحاً يميناً وشمال..

إلى سركون بولص

في الربيع القادم

ستجد هذي الأرض

وقد انزلقت بطين العدم

وانهمكت في ميتافيزيقا عبثٍ وبحر دم..

لا تندهش من قطعان الذئاب

فعظْمة القبيلة ما زالت بسحرها الأسود

ونفطها الأسود

تسحر الجميع

وتمسخ الإنسان قبل الكلاب..!

الفنان والموديل[1]

فنانٌ متجهّم

وفي الظلِّ إله..

منهمكان في لعبةٍ غامضة

ولهاثٍ خلف المحال

وفي البحيرة المرتعشة

تسطع امرأةٌ من خيال

تقطر عسلاً وتخاتل الظلال

تُشعل العبارة

ببرق الإشارة

تترقّب العينَ التي تدرك السرَّ

---

(1) على هامش فلم الفنان والموديل للمخرج فرناندو ترويبا.

واليدَ التي تكتشف الرحم الكونيّة

في أحشاء العالم

وبين الفكر والإزميل

تتواصل مباراة الجمال!

حلم صيفي !

العالم على حافة حلمٍ صيفي

وسيدةٌ تجلس عند برْكةٍ سحرية

تداعب نافورة الماء

تمدّ أصابعها الغزيرة

فتنحني الأغصان

وينهمر في حضنها القدّاح..

تقطف النجمة الأخيرة

وتغمسها في بركتها السحرية

تقصّ شريطاً أزرق

من سماء الفجر

وتضفر به شَعرها المنسدل

من شرفات الليل..

ترشّ رذاذ سحرها الغرائبي

فتتلألأ الأنوار وبلّورات الوجد

وتحملني قطراتها الندية

إلى فراديسها القصية..

كانت أوقاتي حطباً

معلّقاً كقشّةٍ في منقار عصفورٍ ظامئ

يبحث عن عشٍّ وقطرة ماء

وكان زمانها بستان..

تنفخ بمزمارها الذهبي

فتنسكب الموسيقى العسلية

في حقول الأرض

ويشيع الهارموني والرقص في أرجاء الكون

ويولد الحلم الصيفيّ كالسرّ البهيّ

تهدهده سيدةٌ عند البركة السحرية..

الغابة في المدينة

لم يفقدوا بيوتهم

لم يفقدوا شوارعهم

لم يفقدوا أسواقهم

لكنهم خسروا المدينة..

الغابة بوحوشها

كانت تتجوّل بحريةٍ بين الأشياء

والنهر العريق

كان يحمل بعيداً

جثث الأحياء..!

حديقة

سحبتُ قطعةً صغيرةً من الغابة بعيداً

شذّبْتُها وجعلتها حديقتي السحرية

أمس مارستْ وردةٌ حمراء

الإغواءَ مع وحشٍ صغيرٍ

أُصيب بالاكتئاب والاغتراب

وحاول الهروب من الغابة

تمادت الوردة الحمراء بالغواية

فأظهر الوحش الصغير بوادر الارتياب

بقوانين الغابة..

استيقظتُ على صوت هسهسة الأعشاب

الوحوش الكبيرة كانت تلتهم كل الورود

وتُعيد الحديقةَ إلى الغابة..!

أصوات

صيحة الشجرة

تحت الفأس الكبيرة

حشرجة طيرٍ مقطوع الرأس

وصرخة الطعنة القانية

في جسدٍ ما..

أصواتٌ قديمةٌ

لم تنقطعْ، يوماً، في ليالي الوجود

أصوات الغابة البعيدة تأتي دوماً

من الجوار القريب

من قلب المدينة..!

عطرها

بين الظلال الكثيفة والعتمة الخضراء

يفوح عطر الحدائق الغامض

من زفير الزهور ومن لحاء الشجر الغافي

ومن أنفاس الحشائش المثْقلة

بآثار أقدام المتنزّهين المغْفلة

الحدائق مبلّلةٌ بالندى ومشْبعةٌ بوجيب القلوب

كم من أحلامٍ سالت عند الأصيل

وأزهرت قرب الورود

وتشبّع العشّاق برذاذ الخضرة بعد الرحيل

حيثما يمرح الحب فثمّة فردوس..!

***

عطرها يفوح بأسرارها الأنثوية

كلّما اقتربتْ ألمح ذلك الكلّيّ الفاتن

ويستثير الحواسّ..

حفيفُ الثياب وهسيسُ الأوراق

ينفتح الباب فأنصت لصرير الأشواق

ليس كلّ ليلٍ غير صالحٍ للرؤية

فثمّة مفاتنٌ لا تشعّ إلاّ في الظلام

كم هو هاجع بصمتٍ كل ذلك الحمام؟!

***

فوق الشراشف وحول الملاءات

يتناثر ريش المسرّات

والأنامل تنزلق وتتسلّل في الأثل الكثيف

وتهفو إلى الحرير المجعّد في العتمة الوردية..

ذلك الـمُسْكِر الأزلي

يندلق من كأس النشوة

وكركرات الجداول والينابيع الجوفية

توقظ الكائن الأول

واللغة الأولى

كم من حديقةٍ تفوح من الأجساد الليلية؟

ذبول

يا ورقة الخريف الصفراء

لا تتشبّثي بغصنك طويلاً

التشبّث أكثر هو ألمٌ أكبر!

دَعي الريح تحملك بعيداً

بزهْو لونك الأصفر

قبل أن يعتريكِ الشحوب

ويثقل كتفيكِ المعطفُ البنـيّ القاتم

وتطيح العواصف بقبّعتك الصفراء

فاختاري لأفولكِ ربيع خريفكِ!

ففي الفصول أيضاً فصول..

لا تعكّري المعنى الصافي لتيار الزمان

ولا تربكي المغزى الجميل للتعاقب

لكي يعبر الخريفُ شتاءَه سريعاً

صوب الربيع..

***

لتكنْ برهافة الورقة الصفراء

ولتمنح الطبيعةَ خفْقَتَكَ الأخيرةَ

بوداعةٍ وبلا تشبّثٍ

أيّها القلب الذابل..!

العزاء الأخير

ضوءٌ شحيحٌ يخاتل الشجر الكثيف

أناملُ الهواء

مُبلَّلةٌ بندى الفجر

تتسلّل خلال الأغصان والأوراق

تفرك أجفان الحشائش الغافية

وتوقظ العشب المجعّد تحت فارسٍ نائم

قد لاذ آخر الليل بغابةٍ موحشة

هارباً من المدن المجنونة..

فقدَ قوسه في حروبٍ افتراضية

وحاصرته جيوشٌ مُتخَيَّلة

في رأسه ذكرى مدينةٍ مهزومة

وفي جعبته سهمٌ أخيرٌ ونردٌ خاسر..

***

الأمكنة هي الأمكنة

لكنْ اختلطت الأزمنة

صمتت الأغنيةُ الصافية

قبل الأنين الجماعي وحسيس الأوقات الحافية

عصرٌ يمزج القشَّ بالدم

ويُهيل ذرّات الذهول على جثث العبث القاني

اعتمد الوطن، أخيراً، التقويم السوريالي

قبل أنْ يقصّ الشريط اللامع الأنيق

مدشّناً المدفن الجديد لمدنه المتحلِّلة

ثمّة قهقهةٌ سوداء في حدقات التاريخ

وهو يرمق ساخراً

التذاذ الفانين بالمشهد الفاني..

***

وجدوا رأساً مقذوفةً فوق سطح المبنى

ورجل الإطفاء التقط يداً مبتورةً

كانت متشبّثةً بغصن الشجرة المتفحّمة

لا.. هذا ليس دمي على ملابسي!

كان بيني وبين الانفجار شخصٌ بدين

حظّيَ الحسن.. كحظّكَ الذي أخرّك

نحن أحياء الصدفة

يا لها من مزحةٍ سمجة

الموت أيضاً يمزح أحياناً ويبتكر فنوناً للفكاهة!

***

السلالات امتزجتْ..

ورنين الهياكل البائدة لا يكفّ عن الطنين

أنصتُ إلى الدبيب الجماعي

لكائناتٍ ضئيلةٍ تهيم في شوارع مدنٍ مجعّدةٍ

لا أسمع صوتاً مفرداً

بل أسمع همهمةً كرغوةٍ صفراء..

سقطْتُ في يميني زهرةً ذابلةً

وفي شمالي سقطْتُ شَعْرةً بيضاء..!

انتابني الدُّوار فطويتُ أوراقي

وانهمرتُ فوق ظلّي

سائلاً حالكاً لا يُشبه البكاء

كأنّ بئرَ نفطٍ قد تفجّرت في أعماقي

وعظام الأسلاف لا تزال تعزف اللحن الجنائزي

والعنكبوت ينسج خيوط الأكفان بخفوت

والأخطبوط بأذرعه الألف

يثقب زرقة السماء

ويعصر الطحالب فوق البيوت

لم يتخلّفْ أحدٌ من الزواحف

عن وليمة حساء الصبّار..!

***

النرد الأصمُّ على الأرض بياضٌ في بياض..!

قرب الفارس المنكفئِ على صدره كالساموراي

وجدوا جعبتَه فارغةً

ورأسَ السهم الأخير مخترقاً

قلبه ونافذاً من الظهر..

حلوى الليل

لا قيلولة للرغبة مهما استبدّ النهار

– ثمة مرارةٌ في أضوائه ورقبائه

وثمة حلاوةٌ في عتماتها وفوضاها –

تترقّب اضمحلال الضياء

وحلول أمسيات الخيال البرّي

لاعتلاء الصهوات والصهيل الليلي

والانهماك في لعبة الشهوات المتقاطعة..

***

يتنفّسها ويستنشق بخار نبيذها الخمري

وتشهق بلهفة القمح في حقول الريح

أظافرها تخدش لحاء الحياء

وتنزع ثياب الريبة

وتقرص لبَّ الفتنة..

يهسهس شَعرها بين يديه

ويتأوّه طعمها بين لسانه وشفتيه

يفوح التفّاح المهصور بين قضمتين

فيطلقان الأيائل والغزلان

في سهوب الشراشف وشعاب الوجدان

يحبسان الوقت

ويمضغان حلوى الليل..

***

يتهدّم الفاصل

بين الخارج والداخل

ويندلق الجسدان

يتقلّبان والساقان مشتبكتان

ومنهمكتان بالبحث عن سلّم النشوة

يرتقي أحدهما الآخر

للصعود إلى ذاته المنفية

في برد الوحشة وأعالي الأشواق..

***

منذ تعرّي الكلام في شجر الحكايا

لم تتساقط الخطايا

بل أزهرت مواسم الإنسان..

شذرات

1

أتكفكف هذه الأشعار

كلّ زمانٍ قبلكِ قد سال؟

2

تلك الشموس كثيرةٌ في عينيها..

لن يجد الليل وقتاً

أو ما يكفي من الظلام

لإطفائها..!

3

العطر روح الزهور

والوجد زهور الروح

أليس قدر الحب أنْ يفوح؟!

4

تفتنك امرأةٌ بلون البحر

فتغرق في زرقة الشِعر

5

امرأة كالحَباب

تكون رشفةً عند الحضور

وتصير غيمةً عند الغياب

6

الوجنتان جنّتان

والثغر فرات..

تيار عذوبتها زلالٌ

وشفتاي ضفّتان..

7

أحلم بالبحر

فيوقظني خرير صوتها

أحلم بغابةٍ

فأصحو في فردوسها..

8

لمفاتنها الليلية طعم البحر

ولشراشف الفجر

رائحة غابةٍ نديّة..

9

في بستانها الليلي

كلّي عيونٌ وأصابعي شفاه

10

ناديتها فالتفتتْ إليَّ كل النساء..

11

في بحر الليل..

ثغران هائجان والقبلة فنار

والدفّة بين أصابع الشغفين

تصحّح المسار..

12

كأنّ صوتها أرجوحة أعياد

وضياء عينيها نداء العشاء

لجياع الروح..

13

أكتشفتُ أخيراً

ما خبّأته الشمس في الليل الكثيف

عندما لمحتُ

ضوءَ الضوءِ في عينيها..

14

أعياد عينيها كثيرةٌ

لقد صار قلبي قلوباً راقصة!

15

يتواطأ طيفها مع خيالي

وتندسّ بيني وبين حالي[1]

فتشرق في ظلمتي.

---

(1) في أغنية فيروز من عز النوم: (ولما عا حالي سكّرت الباب = لاقيتك بيني وبين حالي)!

.

16

الشمس ترقص في بحيرة البنفسج

ورذاذ الضوء يبلّل المقل..

17

إنّه الطوفان

كلّ شيءٍ يغرق في الظلام

إلّا عيناها

هناك تضيئان

18

في فستانها الأصفر

وزُنّارها الأحمر

أقحوانةٌ تتراقص طرباً..

في قلب الرقص لهبٌ أحمر!

19

لا شيء كالفالس يؤرجح الأرواح..!

20

أقرصها حتى احمرار الليل

وأنزع عني كلّ ما يسترني

حتى انبلاج القلب..!

21

وكنتُ في حضن جمالها

حلماً يتقلّبُ..

بين يمينها وشمالها

22

كأسراب السنونو..

أسرعت القبلات إلى أعشاشها

العاصفة كانت تعصف بشفتيها!

23

شعرها المنسدل من شرفة الليل

حكاية لا تنتهي

حتى وإنْ قاطَعنا الصباح..

24

وأنت تنحني لتشمَّ الليلَكَ

يسقط منك كل شيءٍ

حتى تفقد ظلَّكَ..

25

حينما تتبلَّل أنثى بالماء

يفوح عطر الفردوس..

26

وددت لو أضع غلال السنين

في سلّةٍ واحدة

وددت لو أنّ كلمةً واحدة

تصف جمالها الكثير..

27

لا يكفّ منسوب أنوثتك عن الارتفاع

وفي فيضه أطفو وأغيض

فأتشبّث بشَعرك لئلا يجرفني الطوفان..

28

أشرقْتِ كثيراً

لكنّ غيومي كانت أكثر..

29

تميس وردة النوم

فيفوح عطر النعاس اللذيذ

وترفرف فراشات الأحلام..

30

كلّ صباح.. كانت تشمّ الليلَكَ

فيُضيء عطرُها ليلَكَ

31

قالت: ظلُّكَ يحجب الشمس عنّي

قلت: كيف؟! فأشفّ من الزجاج كياني..

32

لئلا يحرقها وارى جذوتَه

لم يفطنْ أنّ قلبها

سيُهيل كل هذا الرماد!..

33

أيصْدق القلب

أم تكذْب الفيزياء؟

وإلاّ فكيف يكون الأبعد هو الأقرب..

34

وردة الليل تبكي

ودموعٌ تغفو فوق البتلات

الفجر يوقظ قطرات الندى!..

35

بين الواقعيّ والوهميّ يختلج حلمٌ واهٍ..

36

بدّدت عمراً لأجدها

وحين انحنيت لأشمّها

سقطتْ أعوامي مني

منطفئةً حول الوردة المضيئة..

37

لا يزال الشروق الجميل ممكناً في هذا العالم

لأنني أصدّقك عندما تقولين: صباح النور..

38

ظللتُ أشمّها حتى اهتديت

إلى مدخل حديقة الليل..

39

برّحتك الغربتان

وطناً لا تصله

وحبيباً لا تصله..!

40

تنسكب لذةٌ تفوق الاحتمال

كثمرةٍ انفطرت من فرط نضجها

تقطر منها حلاوة الاكتمال

أهذه شجرتك الوارفة

ترميني بكل هذه المفاتن الناضجة؟!

41

أحبّ ما لا يتكرّرُ

ويفتنني المبتكَرُ

عشقها لهبٌ هرطوقي

لا تلجُم الطقوسُ جموحَها الفاتنَ

وهيامي خيولٌ غجريّةٌ..

42

(الفتنة نائمةٌ لعن الله من أيقظها)

وفتنتك ساهرةٌ أبداً

اللعنة على من ينيمها!

43

أتكيلين عشقي بحبّكِ؟

(ويلٌ للمطفّفين)..!

44

دمعتان سقطتا من شرفة الروح

فتبلّل الليل في عينيها..

45

المطر متشبّثٌ بالغيوم

والورد غافلٌ يترقّب الندى

العطر شاحبٌ والأشواك تقهقه

وثمة دخانٌ يتكدّس في الأغصان..

46

هذا الخريف المتهالك

كان يسابق الربيع..

47

ليكن صغيراً ليسعه عمرك!

فالأحلام الصغيرة وحدها

لا تفضي إلى مأساة..

48

أمَا يكفّ هذا الخصام

بين أشواق القلب وقوانين الفيزياء؟

متى يعانق الشِّعرُ (نثرَ العالم)؟

49

في رحلتك الأخيرة

لست بحاجةٍ إلى ساعةٍ أو حقيبة

فصورتها في صميمك

والزمان غريمك..!

50

مَن يغرق في دمعة خريف

لن يدرك بحر الصيف..

51

خسارات الحياة الصغيرة

تتوهّم الفراديسَ وتتوقّع أرباحاً كبيرة..

52

في هذا العراء

أتشبّث بخيط عنكبوت

لئلا تبتلعني سَورة الهراء

53

تتكدّس الفوضى في الظلام الكثيف

لماذا هذا الذهول الحزين إذاً

عند انكشاف النهار التراجيدي؟!

54

في حانة البجع الأبيض

يتثاءب الليل في بحيرة الكلام

وحين تستيقظ المدينة

كل الأحلام تنام..

55

ينسكب الزمن من وطنٍ مثقوب

فتجرفني السَورةُ

وتقذفني في مدارٍ مقلوب

56

الجسد بريء

أفكارنا هي الآثـمة

57

اللحى

هذه الزقورات المقلوبة

كانوا يصعدونها

ليكونوا.. أقرب إلى أللهِ!

58

ضريرٌ هذا الليل

بلا خجلٍ يتجوّل عارياً فيه الموت..

59

المدينة ساعةٌ معطوبة

تسيل من فرشاة دالي..

60

تقطّع هذا الجسد

وكلّ قطعةٍ ثوتْ في بلد

فأيّ منفىً سيسع الروح

أيتها السكّين؟!

61

كم من ريحٍ منذرةٍ في هذا الخريف؟

وأنت ترمّم صفحات العمر

يكاد القلمُ يفتّت روحَك

بهذا الصريف..

62

لا شيء يعشق الدوام كالزوال..!

63

حينما لا يُشبه العالم أحلامي

فلا معنى لحماقة الاستيقاظ

كل صباح..

64

لم تعد المسألة

أن تكون أو لا تكون

بل أن تموت أو تموت..

والاختيار بين موتين هو المعضلة

65

منذ الميلاد كان يقاسمني حياتي

لم يقتحمْ أيَّ بابٍ لكي يختلس أوقاتي!

66

لقد رحل الكثيرون جداً من هنا..

وكثيرون جداً فوق هذه الأرض!

67

أكبر يعني أقلّ!

أليس غريباً منطق العمر هذا؟

68

لا معنى لكل هذا الهراء

سوى أننا قد خسرنا الرهان

وأنّ العالم

لم يعد يطيق وجود هذا الإنسان!

69

مناديل الصيف لن تكفي

عندما يجهش الخريف بالشتاء

أيهرع الربيع إلى انتشال الغريق؟

70

كم كرهت المرايا

كلّما واجهْتها لا أبصر غير التجاعيد

أما مِن مرآةٍ تُريني نضارةَ الروح؟

71

لم أجدْ منديلاً في هذا الشتاء

لأكفكف دموع الروح؟

72

في ليلتك الأخيرة

تُطفئ روحَك

وترقد تحت أغطية السنين الثقيلة

73

مشرق الأحزان بلا مغرب..

74

ليس حزيناً هذا الشعر

إنه قلبٌ لم يجد من يراقصه

فراح يمرجح الذكريات!

75

أخفّ من أن تجذبه الأرض

وأثقل من أن يعتقه الهواء

يسقط لكنّه يظلّ مشدوداً إلى الأعلى..

76

أبيض أو أسود.. سيّان

فرمْية النرد تربحنا دوماً!

٧٧

لم نُنصف أنفسنا

حين اضطررنا

إلى نبذ أنصاف الحلول!

78

مَن يلبس قفّازاً لا يربح حرباً ولا يُضرم حُبّاً..

79

الحروب أشلاءٌ ممزّقةٌ

على امتداد الأوطان

ونياشينٌ وأوسمةٌ معلّقةٌ

في صدور القوّاد..!

80

وجدوا وطناً متفحّماً

وحياةً هشّـةً

في رماد سيجارته الأخيرة..

81

هذا القلب ليس غابةً..

كيف اختنقت الروح بكل هذا الدخان؟!

82

يسبقه ظلُّه دائماً

لم يجرّبْ يوماً أن يجري صوب الشمس!

83

لو جرحْته فلا تتوقّع أن ينزف

غير سائلٍ حالكٍ بلون الألم!

84

ما أصدق السواد في أرض السواد..!

85

كم جرى الطفل خلف السحاب

حبّاً بالبياض.. حتى شاب!

86

فطن لحاجتي أخيراً

فانتشلني بحفرةٍ من هذا العالم..!

87

لست أفهم

كيف أنّ قلبي يفهم

ما لا أفهم؟!

88

الموت قبلةٌ مقلوبة

تُسجي جثةَ وردةٍ فوق شفتي..!

89

أتكون الحياة أكثر احتمالا

لو أننا نولد شيوخاً ونموت أطفالا..؟!

90

كم يقهقه هذا الوجود

كيف نسخر منه بغير الموت؟

91

الماء يوشوش للعشب

والنار تصرخ بالهشيم

92

بين شجرتين

مهما تقاربت جذورهما

ليس ثمة غير الريح..

93

لن أغنّيك بعد اليوم يا وطني

فلحنك لمْ يعدْ يُشجيني..

94

الوحدة نعاسٌ

والموت سرير..!

95

أرقدْ بسلام

فلا يسلم منها إلاّ الراقدون..!

96

تألّم كثيراً حتى تحرّر من قبضة أشباح الحياة!

97

ما أغرب أن يسير المرء مستقيماً

في عالمٍ مترنّح..!

98

اللوثة المشرقية

أصلها في الجغرافيا وفرعها في التاريخ

مخمورةٌ بالنفط والغاز..!

99

لا تزال الساعة الذهبية في معصم الموت!

المحتويات

الإهداء 3

قصائد 5

وأنت تنحني لتشمّ الليلك 7

أمهلني بعض الوقت 11

عودة أصدقائي الطيبين 14

DREAM OF PURPLE 17

لو أن.. 19

القفزة الحرة 22

هنا والآن 24

زخّات 26

الناي واللهب 28

مواء 29

تلك الحرائق 32

كأنها جريمة..! 33

قمر انهيدوانا 35

انطفاء 38

لقاء 39
مشهد صيفي 40
ليل الليلك 41
إلهة الحرب 43
إلى سركون بولص 45
الفنان والموديل 46
حلم صيفي 48
الغابة في المدينة 50
حديقة 51
أصوات 52
عطرها 53
ذبول 56
العزاء الأخير 58
حلوى الليل 63
شذرات 67

رزايا الحكمة المتأخرة.....2013

الدواوين المطبوعة: المفارقات.....2014

تفاحات إيروس.....2015

تلك الشموس كثيرةٌ في عينيها..
لن يجد الليل وقتاً
أو ما يكفي من الظلام
لإطفائها..!

•

حينما لا يُشبه العالم أحلامي
فلا معنى لحماقة الاستيقاظ
كل صباح..

•

كم جرى الطفل خلف السحاب
حبّاً بالبياض.. حتى شاب!

•

أتكون الحياة أكثر احتمالا
لو أننا نولد شيوخاً ونموت أطفالا..!؟

•

الوحدة نعاسٌ
والموت سرير..!

•

ما أصدق السواد في أرض السواد..!

•

لا تزال الساعة الذهبية في معصم الموت!

•

لا شيء يعشق الدوام كالزوال..!

•